من أنماط التلقي

لإصدارات الأندية الأدبية

قُدّم لملتقى العقيق السادس

في نادي المدينة المنورة الأدبي في رجب ١٤٣٦هـ

في السنتين الأخيرتين الفارطة والراهنة (١٤٣٥-١٤٣٦هـ) احتفلت بعض الأندية الأدبية بمرور أربعين عامًا على إنشائها، وكفى بهذا محرِّضًا على المراجعات والتطلّع إلى آفاق أرحب، تُتَجاوَز فيها الإشكالات، ويُطمَح فيها إلى تغيير إيجابي يحقّق أهدافها تحقيقًا أكبر.

ومن هذه المراجعات التي أرى أن تلتفت إليها الأندية النظرُ في نشاطها في مجال النشر، وتأمُّلُ وقْعِ منشوراتها على المتلقين، وانطباعاتهم عنها، وفحص ضروب التلقي لها؛ لأن دراسة التلقي بالمفهوم الحديث تُسهم في رَوز صدى الأعمال الإبداعية والعلمية، والتعمّق في دراسة أثرها في المتلقين، وما انطبع عنها من آراء، وما استُجلي فيها من جماليات، ذلك أن "اهتمام نظرية التلقي بالقارئ والقراءة والعلاقة بينهما في النص إنما هو تركيز على الجانب التواصلي"[١] الذي يكشف أنماط التباين والاختلاف وتنوّع السنن وتطوّرها[٢].

وفي نظرية التلقي يأتي مصطلح (القارئ الضمني)، وهو "مفهوم إجرائي ينمّ عن تحوّل التلقي إلى بنية نصّية؛ نتيجةً للعلاقة الحواريّة بين النصّ والمتلقي"[٣]، فهو الذي يسيطر على ذهن المنتِج في أثناء إعداد عمله، فيكون له -أي للقارئ الضمني- تأثير في توجيه العمل، وفي اصطباغه صبغتَه التي يظهر عليها.

وبالنظر إلى أني لا أعرض في هذه الورقة الموجزة للنتاج الذي أصدرته الأندية مفصّلًا، بل أبحث في تلقي هذا النتاج مجملاً، سوف أتخذ مصطلح (المتلقي الافتراضي) وهو الذي يستحوذ على اهتمام

---

(١) نظرية التلقي والنقد الأدبي العربي الحديث، أحمد بو حسن (ضمن: نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات، مجموعة باحثين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٩٣م، ١٨.)

(٢) ينظر: السابق، نفسه.

(٣) نظرية التلقي أصول وتطبيقات، بشرى موسى صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط الأولى، ٢٠٠١م، ٥١.

الأندية الأدبية ويوجّه اختيارها لما تنشر، وهو لا يخرج عما عَرَض له النقاد المعنيون بهذا المنهج؛ لأن فحص الاستجابة الجمعية للإصدارات يعني دراسة الأثر الجمالي أو الفكري، ويثير علاقة حوارية بين الأندية ومن يتلقون منشوراتها.

إن الأندية الأدبية — على مدى عمر بعضها الطويل نسبيًّا – متعدّدة الوجهات والمشارب، متنوّعة الاهتمامات، وإن انتظمها اهتمام مشترك، وهو مخاطبة الأديب أولاً والمثقف ثانيًا. فمن (المتلقي الافتراضي) الذي تتوجّه إليه الأندية بتلك الإصدارات؟

سوف أتجاوز إشكالات تأسيس الأندية والجدل حول مهمتها ووصفها أهي أدبية أم ثقافية أم جامعة بينهما؟ منطلقًا إلى ما أنا بصدده؛ رغبة في تقويم المسيرة، والإسهام بجهد قليل في التبصّر والتبصير.

إن المتلقي الافتراضي في إصدارات الأندية متعدد تعددَ الأندية نفسها، وتعدّدَ من عملوا فيها، وهو متلق يغيّر وجهه وكنهه كلما تغيرت مجالس الإدارات، وكلما تنازع المتنازعون على كراسيها.

وهذا ربما يعني أنه ليس للأندية الأدبية مشاريع ثقافية كبرى توجّه عملها، بل أهدافها آنية يتولاها كل مجلس إدارة على ما يحقّق رضا أعضائه. فإذا مضى السالف جاءت أهداف جديدة للمجلس الخالف، وقد تكون على ضد ما كان.

وهذا التعدد والتغير– وإن كانت لهما وجوه حسنة– يعرقلان مهام الأندية الكبرى (ومنها نشر الثقافة والإسهام بتشجيع المثقفين والأدباء)، ويحوّلان النادي من مؤسسة عامة إلى مؤسسة خاصة تخضع لاجتهادات متقلبة.

ولذلك يبدو المتلقي الافتراضي لإصدارات الأندية مذبذبًا، فهو حينًا ذلك المثقف المتعدد الاهتمام القارئ النهِم، وهو حينًا المعنيّ بالأدب فحسب، وحينًا يرتفع إلى أن يكون هو الناقد المتمرِّس أو الأستاذ الجامعي والعالم المختص.

بل إن استعراض ما صدر عن الأندية يقفنا على تباين عريض، وعلى دخول فيما يراه بعض المتلقين خروجًا عما أنشئت له، فمن تلك الإصدارات المشكلة هذه الطائفة: حديث "ما" أقسامها وأحكامها، رابطة ظفر خان ومسلمي الهند بالملك عبدالعزيز، الإرهاب دوافعه وعلاجه، الفلسفة بين الفن والأيديولوجيا[1]، الأحكام الفقهية التي تخالف فيها المرأة الرجل، المراهقة مفترق الطرق بين

---

[1]() الكتب الأربعة صدرت عن نادي الرياض.

الاستقامة والانحراف، البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق[١]، العَكوتان والجيولوجيا، السُّنّة ومعرفة علوم الحديث، الأجوبة على المسائل التي الاختلافُ فيها من المباح، عقبات في طريق الدعوة[٢]، المنظمة الدولية للشرطة الجنائية (الأنتربول) ودورها في مكافحة الجرائم الدولية للمخدرات، التعليم الأهلي في المدينة المنورة دراسة تاريخية وصفية، فنّ الرماية بالسهام الحديثة، إرشادات وقائية من منظور أمني[٣].

إن في تلك الطائفة المشار إليها أعلاه كتبًا في النحو وعلم الأرض وفي المسائل الفقهية الدقيقة، وفي مسائل أمنية، وفي قضايا الشباب...فما حدود الأدب والثقافة التي تتبناها الأندية؟ وهل الإصدارات صدى لتوجهات القائمين عليها أو هي – على ما يرى رئيس نادي حائل-"صدى لحركة التأليف والإنتاج الثقافي"[٤]، وهل هي صدى أو هي الصوت الباحث عن صدى؟ وهل تعني كلمة (التأليف) كلَّ شيء؟ إن الرؤية مضطربة وإن لتباين المتلقين في الحكم على ما تنشره الأندية ما يسوّغه؛ ذلك أن المتلقي الافتراضي لهذه الطائفة المسرودة ليس متعددًا بل متباينًا، بل متدابرًا أحيانًا!

ويتصل بذلك معايير النشر، فهي غامضة مختلفة، والذي ينشره نادٍ يرفضه نادٍ آخر، وهذا مقبول في حدود؛ إذا وضعنا في الحسبان اختلاف الأفكار وتعدّد المنازع.

ولْنتأملْ إصدارات نادي المدينة المنورة – على سبيل التمثيل- كي تتضح بعض الملامح المهمة في سياق ما تعنى الأندية بنشره، فهو يتوسّع ويحتكم إلى معايير قد تكون أَولى بالجامعات أو بمؤسسات نشر أخرى: ففي موقعه الشبكي أُشيرَ إلى أن إصداراته "في فنون الثقافة والمعرفة المختلفة". وتعريف الثقافة والمعرفة غير واضح ما لم ننظر في قائمة المنشورات، وربما لا يسلمنا النظر- أيضًا- إلى تحقيق المراد. وهي نحو مئتين وخمسين كتابًا وإصدارةً دورية، أغلبها دواوين شعر ودراسات في الأدب والشعر بخاصة، ومنها دراسات في تاريخ المدينة ومجتمعها وجغرافيتها، ومجموعات قصصية ومقالية وسير ذاتية، وأعداد كثيرة من ملف العقيق ودورية الآطام، وكتب أخرى توسّع النادي في جعلها من إصداراته، مثل أيسر التفاسير، وتحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، ومناخ

---

[١]() الكتب الثلاثة صدرت عن نادي القصيم.

[٢]() الكتب الأربعة صدرت عن نادي جازان.

[٣]() الكتب الأربعة صدرت عن نادي المدينة.

[٤]() جريدة الشرق، العدد ٨٦٦، ١٤٣٥/٦/١٧هـ، ٢٠١٤/٤/١٨م.

المدينة المنورة وآثاره الاقتصادية، وعلاقة الدولة السعودية الأولى ببريطانيا. وما حكمت بالتوسع إلا لأن لهذه الإصدارات الأخيرة عميقةِ التخصص جهاتٍ تعنى بنشرها، وليس من مهمة الأندية أن تتولى الأمر نيابة عن غيرها، فثَمّ جهات أخرى تُعنى بالنشر كالجامعات والجمعيات العلمية وجمعيات الثقافة والفنون وغيرها. وقد يكون بعضُ ما ذُكر أقربَ إلى تلك الجهات من الأندية. وفي اختلاف الرأي– على كلّ حال– مضطَرَبٌ أفيحُ لاطمئنان النفوس وسعة الصدور.

وهذا الأمر – أعني التوسّع وتباين الإصدارات وغموض المعايير – هو الذي جعل بعض المتلقين يرون أن المشكلة الكبرى للأندية هي "غياب اللوائح والأنظمة المعلنة التي تبين للجميع رسالة النادي وأهدافه"[١].

ومع الإقرار باضطراب لوائح الأندية، واختلافها في العناية بإصدار دون آخر؛ يظهر أن الصبغة الأدبية هي الغالبة– وهذا واضح في منشورات نادي المدينة المشار إليها أعلاه– فإن مجموع ما صدر عن الأندية كلها من كتب أدبية بلغ ١٥٢١ والكتب الثقافية (ومفهوم الثقافة ما يزال مراوغًا غير واضح) بلغ ٩٨٥ كتابًا، أما الكتب المخصوصة بالطفل فهي ثمانية وخمسون، ومجموع ما صدر عن الأندية حتى مطلع عام ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م بلغ ٢٦٥٨ إصدارًا يشمل ما سبق مع الدوريات والمترجمات ونحوها[٢]. وهذا الرصد يكشف أن المتلقي الافتراضي الأول للإصدارات هو الأديب، وصفة (الأديب) مرادٌ بها المتصل بالإبداع الأدبي الخالص إنتاجًا أو اهتمامًا.

وفي هذا المقام يحسن أن أنقل بعض ما وصل إليه أحمد الهلالي في دراسته الفاحصة المبنِيّة على الاستقراء والاستبانة لمواقف المتلقين من تلك الإصدارات:

تكشف هذه الدراسة أن النسبة القليلة من مثقفي المناطق راضون عن الأندية الأدبية، فهم نحو ٢٢٪[٣] وسائر الأسئلة التي طُرِحت عليهم في الاستبانة تكشف ضعف التواصل، وقلة الإقبال والرّضا عن نشاط الأندية بعامة وعن الإصدارات بخاصة[٤].

---

[١]() الأندية الأدبية، النشأة والتطور والأثر في تشكيل الوعي الثقافي، أحمد بن عيسى الهلالي، دار الانتشار، بيروت، ط الأولى، ٢٠١٤م، ٦٠.

[٢]() ينظر: السابق، ١١٣-١١٤.

[٣]() ينظر: السابق، ٤١.

[٤]() ينظر: السابق، ٤٤-٤٦ مثلاً.

والذي يعنيني هنا من نتائج دراسته هو الشِّقّ المتصل بالإصدارات، فهي تكشف أن الراضين عنها خمسة عشر شخصًا من الفئة المستبانِ رأيُها، ومن رأوها (جيدة) خمسون، ومن حكموا بأنها (مقبولة) اثنان وأربعون، ومن قالوا بضعفها سبعة وعشرون[١].

أما الإقبال على المطبوعات فما نسبته ٥٢٪ من المشاركين لا يُقبلون عليها، ويرون أن الطفل غير معتنى به في تلك الإصدارات[٢]. وهذه النسبة تعني أن أفق التلقي عند بعض المثقفين يتسع ليشمل من لا يتصف بالمعرفة الأدبية أو العناية بها، كالطفل، وهذا ما لا تخدمه اللوائح التي تعمل بها معظم الأندية.

وفي قسم الآراء المكتوبة صرّح بعضهم بأن الأندية لا تحتفي بمشروعاتهم الثقافية، وتتوجس من أفكارهم، وأنها غير جادّة في نشر مؤلفاتهم[٣]، وعلى الضد يرى بعض المستفتَين أن بعض الأندية "ترحّب بكل الطامحين إلى طبع كتبهم"[٤].

إن المتلقي الافتراضي للإصدارات- كما أسلفت- مراوغ متقلب، فهو محكوم بلوائح حينًا (تخاطب المثقف والأديب)، وخاضع حينًا لاجتهاد يدخل فيه الطفل والشاب، وللأندية تجارب في تنويع طبقات المتلقين، ففي نادي الرياض تجربة سماها (الإصدار الأول) يُعنى فيها بنشر أول كتاب للمؤلف، فكانت الكتب المندرجة فيه لشباب وشوابَّ يقدّمون الكتابة العلمية أو الإبداعية الأولى.

وفي نادي تبوك "تُطبع كتب تشجيعية للمؤلفين الجدد" كما وصفهم رئيس النادي[٥]، وهذا أمر حسن، ولكن يبقى معيار المقبول للنشر مذبذبًا أو لأقل: إن التنازلات في هذا المقام ربما تُضعِف الإصدارات.

والتنازل عن بعض المعايير الصارمة للتحكيم عند إصدار بعض الإنتاج الثقافي للشباب والفتيات أمر يسير عليه نادي حائل؛ وذلك بغية تشجيع الناشئين في هذا المجال[٦]. وفكرة (التنازل عن بعض

---

[١]() الأندية الأدبية النشأة والتطور، ٥٤.

[٢]() السابق، ٥٥-٥٦.

[٣]() السابق، ٥٨، ٦١.

[٤]() السابق، ٧٠.

[٥]() مطبوعات الأندية الأدبية ما بين مطرقة النشر وسندان التوزيع، سيف المرواني، جريدة المدينة، ١٤٣٢/٧/٢٠هـ، ٢٠١١/٦/٢٢م.

[٦]() جريدة الشرق (مرجع سابق).

المعايير الصارمة) تبدو مرتبكة؛ لأن فيها إقرارًا بفوقية الأندية – وهذا حق في بعض المقامات- ولأنها لا تؤول إلى ركن شديد في ضبط المعايير، ولأن التنازل يعني التفريط بما ليس منه بُدّ؛ ذلك أن الأندية جهات راعية للأدباء والمثقفين، مُعينة مبصّرة لشداتهم، والتنازل يعني النزول، وربما أدى للانحطاط. إن من مهام الأندية الإسهامَ في الترقّي بالمجتمع كله، فبرعاية أهل الثقافة والأدب ونشر نتاجهم وتقريب الشُّقّة بينهم وبين سائر الناس يترقّى المجتمع كله ليصبح مجتمعًا مثقّفًا. فهل يتحقق هذا بالتنازل؟

إن ضبط شروط النشر وخضوع الكتب للفحص والتحكيم ضرورة ملحّة، مع أهمية وضوح المعايير وتقاربها – لا تطابقها- وصدورها عن موضوعية ومنهجية، حتى تسلم الأندية من الفوضوية والتناقض[١]، وهذا ما يكاد يتفق عليه المتلقون ذوو الثقافة العالية من النقاد وأساتذة الجامعات، ومنهم ماهر الرحيلي الذي يرى أن رضا المثقف أمر نسبي يختلف من شخص لآخر، معلِّلاً ذلك باختلاف الثقافة ذاتها، مشيرًا إلى أن علينا التنبه إلى أن لإصدارات الأندية الأدبية أثرًا مهمًّا في تحفيز المبدعين على النشر ومواصلة الإبداع، مردفًا قوله: لا ينبغي أن نتوقع صدور كل عمل عن الأندية بدرجة عالية من الإبداع، وهذا لا يلغي- وما زال الكلام له- أن أعمالا راقية صدرت واستحقت الاحتفاء. ويرى في المقابل أن النشر التشجيعي لأصحاب التجارب الأولية أو غير المعروفين هو تحقيق لهدف نبيل من أهداف الأندية الأدبية[٢].

وفي سياق اكتشاف (المتلقي الافتراضي) يظهر ما اصطُلح عليه بـ(النخبة)، فالأندية حريصة على إرضاء النخبة قبل كل فئة أخرى. يقول رئيس نادي حائل: إن النادي يسعى لـ"استقطاب الكفاءات والقامات العلمية والثقافية بهدف توجيه هذا الإنتاج إلى النخب الثقافية"[٣]. إذن هي هنا نُخب، وينبغي أن نقف مع صيغة الجمع (نُخب لا نُخبة)، فمنها النقاد المتمرسون، وأساتذة الجامعات والصحفيون المتنقّذون.

---

[١]() ينظر رأي إحدى المثقفات الذي ذهبت فيه إلى أن المعايير (غير منطقية). وهو رأي غير واضح ولا معلّل. (مثقفون: تضارب في الرؤى يكشفه تباين الإنتاج وجودة المنتج)، جريدة الرياض، العدد ١٦٤٧١، ١٤٣٤/٩/٢٠هـ، ٢٠١٣/٧/٢٩م.

[٢]() جريدة الرياض، مرجع سابق.

[٣]() جريدة الشرق، مرجع سابق.

ومن النخب طبقة الخاصة من المعنيين بالنتاج العلمي المحكّم، إذ اتجهت بعض الأندية إلى نشر الرسائل العلمية، وعنيت بنشر المخطوطات المحقّقة، وبدا أنها تتنافس في ذلك، ولكنها حتى عام ١٤٣٥هـ لم تنشر إلا عددًا لم يستحوذ على نسبة عالية، وفي التحقيق نشرت ثمانية وعشرين عملاً حتى عام ١٤٢٢هـ[١]، ومع هذا ينتقدها بعض المتلقين لعنايتها بالنتاج "الأكاديمي والنقدي"[٢]!

وقد ظهر مما سبق أن لأساتذة الجامعات موضعًا عاليًا من الاهتمام؛ ولا عجب فكثيرٌ من القائمين على الأندية من طبقة الأساتذة الجامعيين، بل إن نادي الأحساء أبرم اتفاقًا مع جامعة الملك فيصل لنشر النتاج الأدبي لأعضاء هيئة التدريس فيها، ويزمع نادي الحدود الشمالية السير على نهجه[٣].

وعلى أن هذا النوع من التأليف هو الأبقى أثرًا والأعمق فكرًا يكاد لا يحظى بما يليق به من التلقي الفاحص، علمًا أن بعض المختصين ألحّوا على الأندية بالالتفات للرسائل العلمية، كحمد الدخيّل الذي قال: إن صغر حجم الكتب التي تصدرها الأندية انعكس على المضمون (قال هذا في عام ١٤١٠هـ) فأصبح – حسب رأيه- كثير من الإنتاج أشبه باللمسات الخفيفة، وافتقد المنهجية المطلوبة، وعمق الفكرة وجِدّتها، وجمال العرض والتوثيق[٤].

ويندرج في الإصدارات المخاطِبة للنخبة العاليةِ الثقافةِ المختصةِ بالأدب والنقد بعضُ الدوريات، وأهمها السلسلة التي يصدرها نادي جدة (علامات، الراوي، عبقر، نوافذ)، والدوريات المحكّمة التي صدرت عن نادي الرياض والقصيم والمدينة وغيرها، وهي ضرورية مهمة، يقول ماهر الرحيلي: إن إصدار الدوريات لا يقل عن إصدار الأعمال الإبداعية، إذْ يُعَدُّ صدور دوريات محكّمة علميًّا أمرًا بالغ الضرورة؛ لإسهامه في نشر الدراسات النقدية الجادة، ولأنه يوثق الصلة بين الأندية والجهات العلمية والمؤسسات التعليمية بعامة[٥]. وقد سبق أن صرح محمد العيد الخطراوي -رحمه الله- بأن تعدّد الإصدارات الدورية يحقق كثيرًا من تطلعات المثقفين، وأن توحيدها في إصدار واحد – وقد

---

[١]() ملامح من حركة التأليف والنشر، ١٥٠، ١٥٢. وقد صدرت كتب أخرى بعد هذا العام فزادت نسبة هذا النوع من الإصدارات، ولكن ليس لدي حصر يكشف مقدارها كشفًا دقيقًا.

[٢]() ينظر: الأندية الأدبية، النشأة والتطور، ٧٣.

[٣]() جريدة الشرق، العدد ١١٣٦، ١٤٣٦/٣/٢٢هـ، ٢٠١٥/١/١٣م.

[٤]() ينظر: الشوط الأول، حمد بن ناصر الدخيل، الرياض، ط الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٦٣.

[٥]() جريدة الرياض، مرجع سابق.

طولب بهذا- "يُميت طاقات الإبداع المتعددة، ويكتم الأصوات المنبعثة لمختلف التوجهات"[١]. ويوافق رأيَه آراءُ عدد من المثقفين الذين يكادون يتفقون على أن هذه الإصدارات الدوريّة مدعاةٌ للعمق والامتياز[٢].

ومن الشكاوى التي تتردد بين المتلقين الشكوى من أن إصدارات الأندية لا توزّع[٣]، والصحيح أنها توزّع توزيعًا عشوائيًّا، وربما كان لضعف قدراتها المالية والبشرية أثرٌ في ضعف توزيعها. والأندية نفسها تقرّ بالمشكلة، وتضع التهَمة على ضعف تعاون الموزّعين وعلى دور النشر[٤]. والمهم هنا أن ضعف التوزيع يُنتج ضعف التلقي، فيذوب هذا النتاج — وبعضه عال متقن- في زحام ما تقذف به المطابع ودور النشر كل عام.

من أنماط التلقي[٥]:

بعد تأمّل ونظر في تلقي إصدارات الأدبية وجدت أن بإمكاني تفصيل أنماط تلقّيها على هذا النحو:

١) **التلقي الترويجي (المرآة)**
٢) **التلقي الانطباعي (عين الرّضا)**
٣) **التلقي النقدي التحليلي (عين الإنصاف)**
٤) **التلقي الساخط (عين السُّخْط)**
٥) **التلقي الموجِّه**

وفيما يلي تفصيل المجمل:

١) التلقي الترويجي (المرآة):

---

[١]() آفاق وأنفاق، محمد العيد الخطراوي، نادي مكة الثقافي الأدبي، ط الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ١٦٢.

[٢]() ينظر: الدوريات في الأندية الأدبية بين الواقع والمأمول، نادية الفواز، (تحقيق صحفي) جريدة الوطن، ١٤٣١/٨/١٣هـ، ٢٠١٠/٧/٢٥م.

[٣]() ينظر: الأندية الأدبية، النشأة والتطور، ٦٣.

[٤]() ينظر رأي مسعد العطوي في هذه المسألة: جريدة المدينة، مرجع سابق.

[٥]() اقتضت الطبيعة الإيجازية للبحث أن أتخذ نماذج من التلقي، ولعل الهمة تنشط لدراسة موسعة، أو لعل هذه الورقة تكون نواة لمن يغريه الموضوع فيتوسع فيه بدراسة علمية عالية.

وهو نمط تسهم الأندية نفسها في استنباته وتحرص عليه، بل إن بعض أعضائها هم من الصحفيين المعنيين بالأدب والثقافة، وقد ضمّت بعض مجالس إداراتها أدباء ومثقفين صحفيين، كان لهم في الترويج للإصدارات أثر كبير.

وهذا النمط من التلقي ليس بذي أهمية فيما أنا بسبيله؛ لأنه أشبه بالأخبار الصحفية التي لا يؤبه فيها إلا بالخبر وملء الفراغ والتظاهر بالمتابعة والاهتمام حينًا، والاطلاع والمعرفة حينًا آخر. وقيمته في لفت النظر إلى ما يصدر عن الأندية فحسب.

٢) التلقي الانطباعي (عين الرّضا):

وهذا النمط لا يقلُّ عن سابقه كثرةً، ومعظم الملحقات الأدبية والمجلات الثقافية تخصّص زوايا لاستعراض بعض إصدارات الأندية، أو تنقل بعض آراء المتلقين المتّسمة بالعمومية، مثل ما نرى في بعض التحقيقات والاستطلاعات الصحفية، ومنها ما نقرؤه لأحدهم من أن إصدارات الأندية أسهمت في التعريف بالمشهد الأدبي والثقافة في المملكة[١]، وهذا التعريف مهمّ جدًّا يغفُل عنه الساخطون على الأندية، وإن بقي ضعف الانتشار عقبة كؤودًا تحول دون تحقّقه التحقّقَ المرضِيّ.

ومن هذا النمط مقالة حمد القاضي عن ديوان (قصائد في زمن السفر) لأحمد الصالح[٢]، فهو فيها مادحٌ مثنٍ، يكتب بلغة الشعر لا لغة الفكر.

وما يكتبه علي بن خضران القرني في زاويته بمجلة المنهل مثال جيّد على ما أنا بصدده؛ فإن سمات التلقي الانطباعي عنده ظاهرة، وتجملها النقاط التالية:

- عرض المحتوى عرضًا موجزًا مُخِلاً في بعض الأحيان.
- التعليق الاستحساني غير المعلّل.
- الانتقاء.

والملحوظ كما أسلفت أن الاستحسان غير المعلّل هو الغالب؛ وكأن التلقي هنا ضرب من التمجيد، وردّ الجميل لمن أهداه الكتاب. فقيمته في النقد ضئيلة جدًّا، وحسبك أن تجد تراكيب جاهزة تتكرر في كثير من المقالات، وجملاً تتوسّل بلغة المجاز في كيل الثناء على المؤلف، مثل قوله

---

[١]() ينظر: جريدة المدينة، مرجع سابق. وينظر رأي عبدالله الزيد في جريدة الرياض، مرجع سابق.

[٢]() أشرعة للوطن والثقافة، حمد القاضي، ط الأولى، الرياض، ١٤١٩هـ، ٥٥. (عن كتاب لمحات عن تاريخ النادي الأدبي بالرياض ومنجزاته، إعداد إدارة النادي، نادي الرياض الأدبي، ط الأولى، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م. ١٤١).

عن أحد الدواوين: "كان بحقّ مشعلاً يضيء سماء الوطن وطنية وإبداعًا وتألقًا"[١]، وقوله عن قصائد ديوان آخر: "نشنّف من خلالها الأسماع"[٢].

وهذا التلقي – وإن أرضى الأندية والمؤلفين- خطير الأثر؛ لما فيه من تخدير المشاعر، وغضّ الطرف عن العيوب والمؤاخذات، فبعض ما أثنى عليه علي بن خضران جدير بالثناء، وبعضه ضعيف القيمة. والتلقي الحقيقي ذو الجدوى هو الذي يتجاوز الوصف والعرض والثناء العام إلى بثّ الآراء النقدية، والوقوف على مظاهر الإبداع.

٣) التلقي النقدي التحليلي (عين الإنصاف أو الجنوح إلى الإنصاف):

وهذا التلقي ضربان:

١- تحليلي راصد للكمّ والنوع

٢- تحليلي فاحص للقيمة الفكرية والفنية

أما الأول – الراصد للكمّ والنوع- فهو ظاهر في بعض الدراسات العلمية المحكّمة مثل (حركة النشر في الأندية الأدبية الثقافية بالمملكة العربية السعودية) لفهد بن سيف الدين غازي ساعاتي[٣]. ودراسة أحمد تمراز (خصائص الإنتاج الفكري المنشور بمجلة قوافل)[٤]، و(ملامح من حركة النشر والتأليف في المملكة) لمحمد المزيني وآخرَين[٥]، وفيه فصل عن النشر في الأندية، وآخرها صدورًا – فيما أعرف-كتاب أحمد بن عيسى الهلالي (الأندية الأدبية النشأة والتطور والأثر في تشكيل الوعي الثقافي)[٦].

وفي بعضها نتائج تكشف بعض ملامح المتلقي الافتراضي لتلك الإصدارات، فحتى عام ١٤٢٠هـ أبانت دراسة فهد ساعاتي أن جُلَّ الأندية تخاطب متلقيًا ذا ثقافة عالية مختصّة، فالأعمال التراثية هي في المرتبة الأولى[٧]، وكشفت دراسة محمد المزيني وزميليه أن الأندية الأدبية ما تزال في حاجة

---

[١]() خطرات فكر في رياض الشعر والنثر، علي بن خضران القرني، نادي الطائف الأدبي الثقافي، الطائف، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ٧٦.

[٢]() السابق، ٦٨.

[٣]() نشر مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

[٤]() نشر نادي الرياض الأدبي، ط الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

[٥]() نشر نادي الرياض الأدبي، ط الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

[٦]() سبق ذكر بياناته.

[٧]() حركة النشر في الأندية الأدبية، ٢٣٢.

إلى الارتقاء بمستوى النتاج الفكري والأدبي[1]، وكأنهم حكموا – ضمنًا- بأن ما قدّمته الأندية غير مناسب للمتلقي المفترض الذي لا يبدو واضحَ السمات عندهم.

ويندرج في هذا الضرب التلقي المتأثر باهتمام الكاتب نفسه، فخالد اليوسف مثلاً- وهو قاصّ روائيّ معنيّ بالسرد وحصره الوِراقي- ينتقد اهتمام الأندية بنشر الشعر، ويعلّل ذلك تعليلاً غريبًا، يقول: لم يصدر في عام ٢٠١٠ سوى روايتين عن ناديين، وقال: إنه لحظ كثرة الإنتاج الشعري ما بين قراءة ونقد ودواوين، وكأن هدف الأندية الأدبية- كما قال- أن تنقذ الشعر من تراجعه![2].

إن أفق الانتظار الذي يوجّه الرؤية هنا هو أفق ضيّق، يصدر عن اهتمام ذاتي، يُغفِل أن الأندية تنشر استجابة لما يردها من أعمال، وأن المعوّل عليه – في رؤية الأندية المعلنة- هو رعاية الأدباء والمثقفين وتشجيعهم، فإذا كثر إنتاجهم الشعري فهذا مما لا يد لها فيه.

والضرب الثاني من هذا التلقي هو التحليلي النقدي الفاحص للقيمة الفكرية والفنية للأعمال المنشورة، وهو كثير نسبيًّا، ولا تكاد تخلو أبحاث النقاد ودراساتهم منه، كمحمد بن حسين رحمه الله الذي كان التزامه كتابةَ مقالة في الجزيرة داعيًا لأن يكتب عن عدد لا بأس به من إصدارات نادي الرياض وغيره، كمقالته في عرض كتاب (ذكريات باريس) وهو فيها مجادل أقرب إلى السخط منه إلى الرضا، فهو ينعى على المؤلف وصفه لكتابه بأنه قشور، ويقول: فلماذا يقدمه إذن؟[3]، وإن كان في سائرها عارضًا للمضمون، وكذلك سعد البواردي في زاويته بالمجلة الثقافية (استراحة داخل صومعة الفكر).

وفي هذا الضرب يمكن أن نتلمس رغبة هذا المتلقي الفاحص في بيان رأيه الموضوعي، ووجهات نظره فيما يقع بين يديه، وقد يوفّق لكتابة علمية موزونة، وربما اكتفى بملحوظات عابرة، ولكنها لا تخرج في غالبها عن هذا الضرب من التلقي.

---

[1] () ملامح من حركة النشر والتأليف، ١٣٧.

[2] () جريدة الوطن، العدد الصادر في ١٤٣٦/٣/١٥هـ، ٢٠١٥/١/٦م.

[3] () ينظر: كتب وآراء، الكتاب الثاني، الكتاب الثاني، محمد بن سعد بن حسين، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ٧٣.

وينتمي إلى هذا النمط مقالات عدة كتبها نقاد وباحثون، مثل مقالة وليد قصاب عن مجموعة (امرأة تعبر تفكيري) لسليمان الحماد، وفيها عرض رصين، وبيان للمحاسن والمساوئ، وبخاصة في لغة الكاتب التي قال عنها: إنها لا تخلو "من هفوات ونقاط ضعف"[١].

ومنها مقالة محمد قرانيا التي عرض فيها كتاب علوي الصافي (مطلات من الداخل)[٢]، ومحمود ردّاوي التي عرّف فيها بكتاب محمد الحمدان (صَبا نجد في الشعر العربي)[٣]. وهذان يثنيان على الكتابين، ولكنهما يكادان يكتفيان بالعرض والمسّ الرفيق، وسرد ملحوظات قلائل.

أما سعد البواردي فهو لا يهمل ذائقته، فيحتكم إليها في قراءته للشعر، كمقالته عن ديوان محمد الشبل (نداء السحر)، إذ كثيرًا ما يقترح تعديلاً في الصياغة، أو ينتقد معنى أو يَسْتَرِكُّ تعبيرًا[٤].

ومن خير نماذج هذا الضرب مقالات عبدالله الحيدري في زاويته بجريدة المدينة، فهو يعرض لبعض الإصدارات، ويبدي وجهة نظره فيها، مبيّنًا أن هدفه "ليس التنويه بمحاسن الكتب واستعراضها، وإنما تدوين ملحوظات عليها في شكل تهميشات أو هوامش". وهو ينظر في الإصدارات نظر العالم الفاحص بروح المثقف والأستاذ الجامعي، وجهده من النمط القليل المثال؛ لأنه يتتبع الأفكار العامة في كل كتاب، ويبدي وجهة نظره في قيمته، ويعرض لبعض الأخطاء العلمية فيه، ولا يدع حتى الأخطاء الطباعية في بعضها.

ومن المواضع التي عرض فيها للأخطاء عرضًا صريحًا قوله عن كتاب محمد القشعمي (البدايات الصحفية) الصادر عن نادي مكة الثقافي الأدبي عام ١٤٢٧هـ:

"ومن المآخذ على الكتاب التناقض في المعلومات والتضارب في التواريخ، [وهذا] ما يجعل القارئ أحيانًا في حيرة"[٥].

---

[١] () مجلة الثقافة والفنون، رجب ١٤٠٢هـ، ١٠٦. عن كتاب لمحات عن تاريخ النادي، ١١٧ (تنظر بياناته في قائمة المراجع).

[٢] () المجلة العربية، العدد ٧٧، جمادى الآخرة، مارس ١٩٨٤م، ٢٤.

[٣] () المجلة العربية، العدد ٩٥، ذو الحجة ١٤٠٥هـ/سبتمبر ١٩٨٥م، ٩٢.

[٤] () استراحة داخل صومعة الفكر، سعد البواردي، ط الأولى، دار المفردات، الرياض، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ٢٨٤/٣. (عن كتاب لمحات عن تاريخ النادي، ١٥٣-١٦٠).

[٥] () هوامش على الكتب، جريدة المدينة، العدد ١٧٤٧٤، ١٤٣٢/٣/٢٢هـ، ٢٠١١/٢/٢٦م، ٢٩.

وفي تعليقه على كتاب علي بن خضران القرني الصادر عن نادي الطائف عام ١٤٣٢هـ انتقد وصفه للعمل بالموسوعة، وإدراجه في أدباء الطائف من ليس منهم، وبقاء بعض التراجم على حالها في الطبعة الأولى مع تغير إحصاء ما يتصل بأصحابها في الإنتاج الأدبي أو في المواقع الوظيفية والنشاط العلمي والصحفي[١].

وفي عرضه لكتاب (معجم شعراء الأحساء) الصادر عن نادي الأحساء أشار إلى أهمية توحيد منهج التراجم، ولفت النظر إلى أن بعضها كتب كتابة علمية موجزة، وأن بعضها كُتب كتابة أدبية[٢]، ووقف هنا، ولم يقل: إن التراجم ربما وُكلت إلى أصحابها ليكتبوا عن أنفسهم ما يشاؤون.

ومن هذا النمط العالي من التلقي مقالة يوسف العارف عن كتاب بدر المقبل (نقد الشعر عند الشعراء السعوديين)[٣] – وهو في الأصل رسالة علمية عالية– إذْ تعامل معها العارفُ بروح العالم المناقش المدقق، فاستعرض بعض الآراء وعلّق عليها وناقش المؤلف فيها.

إن هذا التلقي الفاحص الرصين هو ما تتطلّبه تجربة الأندية في الإصدارات؛ لأنه ضرب من التقويم والتصحيح الذي لا تستغني عنه كلّ تجارب النشر. ولو قُيّض لسائر الإصدارات عيون فاحصة ناقدة لتغيّر واقع النشر في الأندية إلى ما هو خير.

٤) التلقي الساخط (عين السخط):

وهذا النمط من التلقي مثير للإشكال، وهو تلقٍّ تعاني منه الأندية الأدبية؛ لانطلاقه من مبدأ غير موضوعي في الغالب، ولأنه يجنح إلى إثارة الغبار ووضع العصيّ في عجلات حركة النشر، دون أن يكون له غايات إصلاحية واضحة، وفي الغالب ينبني الحكم على تصوّر معدّ سلفًا، وربما صحّ قول أحدهم بأن بعض الفئات "تريد إسقاط النادي"[٤]، غير أنه ينبغي ألا يُسترسل في تضخيم هذه التهم؛ لأنها تظل نابعة من مواقف شخصية، ولا يحسن تعميمها على كل من انتقد أداء الأندية.

---

[١]() ينظر: هوامش على الكتب، جريدة المدينة، العدد ١٧٥٠٩، ١٤٣٣/٥/١٦هـ، ٢٠١٢/٤/٨م، ٢٥.

[٢]() ينظر: هوامش على الكتب، جريدة المدينة، العدد ١٧٣٣٤، ١٤٣١/١٠/٢٩هـ، ٢٠١٠/١٠/٨م، ٢٨.

[٣]() ينظر: جريدة عكاظ، العدد ٤٢٨١، ١٤٣٤/٤/٢٥هـ، ٢٠١٣/٣/٨م، (عن كتاب لمحات عن تاريخ النادي، ١٦٥-١٧٥).

[٤]() الأندية الأدبية، النشأة والتطور، ٦٤.

ومع ذلك لا بدّ من النظر في تلك التهم التي تُكال للأندية في مجال النشر، فهل هي حقًّا تعيش وهم خدمة المثقف، وأنْ لا أثر لها[1]، وهل بقيت إصداراتها في الكِنّ ولم تبرُز إلى الضِّحّ؟ وهل هي ضعيفة مطلقًا ولا قيمة لها؟ إن اختيار الإجابة بـ(نعم) على هذه الأسئلة تلزُّ المجيب في قرَن، وربّما تُحوِجه إلى تلمّس المعاذير خلَفًا. والمثير للأسف أن بعض المتلقين من هذا الضرب لا يتردّد في تبنّي حكم عامّ ساخط على كلّ ما أصدرته الأندية!

ومن نماذجه كتابات صحفية يندرج أغلبها في وصف التحقيقات، ومنها ما جاء في جريدة عكاظ، في تحقيق ألحّ كاتبه على إخفاق إصدارات الأندية الأدبية، مع أنه استطلع آراء متفاوتة، بعضها لا يقرّ بإخفاق تلك الإصدارات، ومع ذلك جُعل العنوان الرئيس للتحقيق: (رداءة الطباعة وتخصيصها لأبناء المناطق أفشل إصدارات الأندية الأدبية) وقبله عنوان أصغر حجمًا وأقل مساحة (رفضوا الحكم بالتعميم، مثقفون لعكاظ:)[2] ، وفي الجريدة نفسها نقرأ حكمًا عامًّا تنقصه الموضوعية والتعليل والشواهد، يقول: إن الأندية "وضعت الثقافة خلف أسوار رسمية وظلّ نتاجها قليلاً ومشروطًا وغير ذي شأن. وأن أجمل الإصدارات والأصوات والأسماء بقي خارج النادي، وأن الثقافة أشمل من ديوان شعر أو أمسية قصصية، أو محاضرة لا يحضرها غير أعضاء النادي"، وجاء فيه أن إصدارات الأندية "لا يقرؤها أحد"![3].

لا شك أننا تجاه تلقٍّ ساخط وإن تردّى برداء الموضوعية، فإصدارات الأندية ليست في كفّة واحدة، نعم قد يصدق الحكم على بعضها، ولكنّ لبعضها من القبول والانتشار ما لا يُنكَر.

ويلفت النظر في هذا النمط انطلاق بعضه من نظرة فوقية تختلط بالهزء وانتقاص الأندية وجهدها، ولستُ هنا في موقف المنافح، غير أنّ فيما تقدّمه الأندية في مجال النشر المقبولَ- وهو الأكثر- والرديءَ والضعيف، على أن بعض القائمين على الأندية يقرّ "بأنها ليست كلها عالية

---

[1]() ينظر: السابق، ٧٥.

[2]() جريدة عكاظ، العدد ٤٦٥٧، ١٤٣٥/٥/١٧هـ، ٢٠١٤/٣/١٨م. واختيار العنوان الرئيس على ذلك النحو يؤكّد الانطلاق من السخط والرغبة في تهميش الثناء على الأندية!

[3]() (قوقل وياهو يحاصران الأندية الأدبية)، عَمْر العامري، جريدة عكاظ، العدد ٢٧٠١، ١٤٢٩/١١/١٠هـ، ١١/٨/ ٢٠٠٨م.

الجودة في موضوعاتها وعناوينها، فقد تكون أقلَّ مما يتوقع القارئ، إلاّ أن ذلك لا يشكّل نسبة عالية"[١].

لقد أوجز محمد الخطراوي رحمه الله شيئًا مما يعتمل في أذهان القائمين على الأندية تجاه هذا النمط من التلقي، إذ قال- وهو يعرض لتعدّد الإصدارات-: "كل ما أخشاه أن يطلع علينا أحدهم بأن يُكتفى بطباعة كتاب واحد، واتخاذ منبر واحد...ولا يُستبعد أن ينادي بإلغاء الأندية الأدبية والاكتفاء بناد واحد!"[٢].

٥) التلقي الموجِّه:

وهذا النمط من التلقي يكاد يشترك فيه كل المتلقين السابقين، غير أني ألحّ هنا على ما يكتنف الاقتراحات والتوصيات للأندية باتباع نهج في النشر، أو في تجنّب آخر، وقد كان هذا النمط كثيرًا فيما كُتب مع بدايات انطلاق الأندية، وانحسر تدريجيًّا حتى صار يتوارى بين الأسطر، ولا يكاد يظهر إلا لمامًا.

وتوجيه الأندية يأتي غالبًا إثر قراءة ما يصدر عنها، كما فعل محمد بن حسين رحمه الله في تعليقه على كتاب (ذكريات باريس) للجهيمان رحمه الله، إذ ألمح إلى قول المؤلف: إن النادي رغب في طباعة هذه المذكرات، ثم أردف: "أما أن يلحَّ النادي على أديب سعودي فذاك خير للنادي من أن ينشر كتبًا لغير السعوديين، وقد صنع ذلك أكثر من مرة"[٣]. وهذه وجهة نظر توحي لمحًا إلى توجيه لما يُنشر وما لا يُنشر، وهي مقبولة في حدود، ما لم تتردَّ برداء العنصرية، أو تتقوقع وتنعزل عن مسار الأدب والثقافة العربيين.

ومن هذا النمط بعض مقالات حمد الدخيّل الذي طالب نادي الرياض بأن يحدِّد نوع الكتب التي يصدرها، مقترحًا أن ينصرف "إلى طبع الكتب التي تتّفق مع طبيعة عمله ونشاطه، والأغراض التي أنشئ من أجلها، ومعنى هذا ألا يدخل في برنامجه طبع كتب غير أدبية"[٤]. والمشكلة هنا في تحديد المراد بالكتب (الأدبية)، فهل هي كتب الأدب الإبداعي الخالص؟ أو هي كل ما يمتّ للأدب بصلة سواء أكان إبداعًا أم دراسة له؟ وهل يخرج من نطاق الأدبية كتب السير والمذكرات والرحلات

---

[١]() جريدة المدينة، مرجع سابق.

[٢]() آفاق وأنفاق، ١٦١.

[٣]() كتب وآراء، الكتاب الثاني، ٧٣.

[٤]() الشوط الأول، ٦١.

إن لم يكن أسلوبها أدبيًّا؟ وهذا الرأي يستدعي تشغيبًا لا ينتهي من الفئة الساخطة التي تطالب الأندية بما ليس في قدرتها أحيانًا.

واقترح حمد الدخيّل على النادي الأدبي بالرياض أن يطبع كتبًا أدبية أكثر شمولاً وأكبر حجمًا وأدق التزامًا بالمنهجية العلمية[١]. وهذا الاشتراط متأثر بطبيعة القائل العلمية وصرامته المنهجية فهو أستاذ جامعي ومحقق للتراث مشهود له بالدقّة والصرامة. ويبدو أن دخول أساتذة جامعيين في مجالس إدارات بعض الأندية قد حقّق بعض ما صبا إليه الدخيّل وغيره؛ إذ شهدت بعض السنوات صدور رسائل جامعية ونصوص محققة ومعاجم وموسوعات.

خلاصات:

- المتلقي الافتراضي لإصدارات الأندية الأدبية متعدّد الوجوه، متغيّر، ويكاد يكون لكل نادٍ نمط من المتلقين، غير أن طول بقاء بعض رؤساء الأندية في مناصبهم (نحو ربع قرن) أسهم في تمكين ضرب من المتلقين لكل ناد، حتى صار سمة للنشر وظاهرة تهيمن على الأمسيات والندوات والمحاضرات.
- تلقي الإصدارات لم يرقَ إلى المستوى المأمول تمحيصًا ونقدًا إيجابيًّا عميقًا، وبعض ما اندرج في النمط العالي من التلقي لا يشكّل سوى نسبة ضئيلة جدًّا على حسب ما اطلعت عليه.
- آراء المتلقين في إصدارات الأندية الأدبية —كما رصدها الهلالي– أقرب إلى الإيجابية[٢]، وهي تعني أن الطائفة الكبرى منهم تحسن الظن بمستقبل الأندية في النشر، وترى أنها تسير على الطريق الصحيح، وإن بدا لكثير منهم تحفّظ على ما ينشر أو على طريقة الطباعة والتوزيع.
- تجارب النشر المشترك أعانت على تجويد الاختيار، وأسهمت في الانتشار، ولكنها بقيت — في رؤية بعض المتلقين– نُخْبيّة.
- يكتنف بعض التلقي للإصدارات غموض، فالآراء غير واضحة، مثل القول بأن مطبوعات الأندية مفصولة فصلاً حادًّا عما هو سائد[٣]، إذ لا دلالة متفقًا عليها على

---

[١]() ينظر: السابق، نفسه.

[٢]() ينظر: الأندية الأدبية، النشأة والتطور، ١١٦.

[٣]() جريدة الرياض، مرجع سابق.

السائد وغير السائد، وليس ثمّ اتفاق –ولن يكون– على المقبول وغير المقبول. والذي أراه أن غالب ما ينتظم في سلكه من الآراء هو إلى التهويش والمغافصة أقرب، وإن أحسنتُ الظن –و هو الأليق– قلت: إنه يأتي مرتجَلاً فَطِيرًا، وليس له أثر يذكر في تقويم تجربة الأندية في النشر.

– كثير من الانتقاد الموجّه لإصدارات الأندية يمكن أن يُساق إلى دور النشر الأخرى أكانت حكومية أم خاصة، ففي كل منها جودة ورداءة، ولكل منها متلقون متفاوتو الثقافة، ولكن الأندية تواجه ما لا يواجهه غيرها؛ ربما لشعور الأدباء والمثقفين أن الأندية هي حاضنتهم وهي المتحدث بلسانهم.